مجلة المنهل-المجلد: 09، العدد: 01 (2023م)-ص ص303 ـ 316
ISSN :2437 - 1068 ●EISSN8392-2710

رائيّة ابن المزجَّد في النصح والإرشاد

Raiyah Ibn al-Muzajd in Advice and Guidance

الصادق بن الساسي ذهب*
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية،
جامعة الشهيد حمه لخضر (الوادي- الجزائر)
sadok.abouzayd@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/11/11	2023/06/22	2023/06/25

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

هذا البحث تحقيق مخطوط للعلاّمة ابن المزجَّد (930هـ) الشافعي، في الأخلاق والآداب، مع الخالق ومع المخلوق؛ حيث تنوّعت أبياته بين الترغيب في الأخلاق الحميدة، والترهيب من الأخلاق المذمومة.

وقد قسّمت البحث إلى ثلاثة مطالب، خصّصت المطلب الأول للتعريف بالناظم؛ شهاب الدّين ابن المزجَّد، فذكرت حياته الشخصيّة، والعلميّة، وتناولت في المطلب الثاني للتّعريف بالنّظم؛ مبيّنا نسبة المخطوط وتسميته، ثم موضوعه، وبعدها وصف شامل للمخطوط، والعمل الذي قمت به في تحقيقه، وفي المطلب الثالث تحقيق نصّ المخطوط.

الكلمات المفتاحية:

رائيّة؛ المزَجَّد؛ الإرشاد

Abstract :

This research is a written investigation of the scholar Ibn al-Mozjjad (930 Hijri) Al-Shafi'i, in morals and manners, with the Creator and the creature; Where his verses varied between calling out for good manners, and intimidation of the unwanted morals. This research is devided into three sections, allocating the first requirement to introduce the organizer; Shihab al-Din Ibn al-Mozajjad, where I mentioned his personal and scientific life, in the second part, I have dealt with the introduction of the his scientific system ; Indicating the proportion of the manuscript and its name, then its subject, and then a comprehensive description of the manuscript, and the work that I did in its realization, and in the third part the achievement of the written manuscript.

Keywords:

seer; al-Mozajjad; guidance;

(*)المؤلف المراسل.

1.مقدمة

الحمد لله الذي تواترت جلائل آلائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه، وعلى آله وصحبه نقَلة أحواله وحمَلة أنبائه، وبعد:

إنّ التحلّي بمحاسن الأدب، ومكارم الأخلاق، والهدي الحسن، والسّمت الصالح سمة أهل الإسلام، والأخلاق والآداب هي من أجلّ العبادات التي تُقرِّب العبدَ من ربّه وتقرّبه إلى عباده، وهي أكثر ما يدخِل الناسَ الجنَّةَ.

ولقد نعلم بأنّ سعادة الأمّة وعزّتها ليس بكثرةِ الأموال ولا بجمَال المباني، ولكن سعادتها وعزّتها تكون بحسن الأخلاق، وصحّة العقائد واستقامة التربية.

ونظرا لمكانة الأخلاق والآداب في شرعنا الحنيف، فلقد عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إمّا على طريقة النثر كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المفتي، وغيرها.

وإمّا على طريقة النظم كالقصيدة التي قصدناها بالدراسة في هذا البحث، وهي لصاحب العباب؛ ابن المزجَّد (930هـ) الشافعي، وهي منظومة غنيّة بالنّصائح والفوائد والتّوجيهات، وعندما وقفت عليها أُعجبت بها؛ لذا عزمت على الاعتناء بها حتّى يستفيد منها من وقف على هذا البحث بعدي.

من هذا المنطلق يمكن طرح الإشكالات الآتية: ما هي هذه النصائح والفوائد والتوجيهات، وبما يتعلّق موضوعها؟ ومن هو ابن المزجَّد؟ وكيف جاءت قصيدته؟

للإجابة عن الإشكالات المطروحة ارتأيت السير وفق الخطوات الآتية:

المطلب الأوّل: التّعريف بالإمام ابن المزجَّد

المطلب الثّاني: دراسة المنظومة

المطلب الثّالث: تحقيق النّص

هذه خلاصة ما قمت به في تحقيق هذه المنظومة، وأسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

2. التعريف بالإمام ابن المزجَّد

أتناول في هذا المطلب الحياة الشخصيّة والعلمية للإمام، وهي كالآتي:

2،1. اسمه وكنيته ونسبه ومولده

أوّلا–اسمه: أحمد

ثانيا–كنيته: أبو السرور، والشهير بالمُزَجَّد.

ثالثا–نسبه: هو ابن عمر بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن القَاضِي يُوسُف بن مُحَمَّد بن عَليّ بن مُحَمَّد بن حسان بن الْملك سيف بن ذِي يزن.

ثالثا–مولده: ولد سنة سبع وأربعين وثمانمائة بجهة قرية الزبيديّة. (العَيدروس، 1405هـ، صفحة 127)

2،2. نشأته العلميّة وشيوخه وآثاره

أوّلا–نشأته: نشأ في مسقط رأسه قرية الزبيدية، وحفظ جامع المختصرات، وتتلمذ على يد شيوخ عصره فيها.

ثانيا–شيوخه: من أبرزهم:

1–القاسم بن محمد بن مريفد[1]. (بعكر، 1410هـ، 1990م، صفحة 497)

2–إبراهيم بن أبي القاسم جعمان[2].

3–عبد اللّه بن الطيب الناشري[3]. (الهجراني، 1428هـ، 2008م، صفحة 15)

ثالثا–تلاميذه: أذكر منهم:

1–شمس الدين الناشري[4].

2–أبو العباس الطبنداوي[5].

---

[1] لم أعثر له على ترجمة.

[2] هو: إِبْرَاهِيم بن الشّرف، أبي الْقسم بن إِبْرَاهِيم بن عبد الله بن جعمان، من شيوخه الطّيب النَّاشِرِيّ، والشّرف الشِّيرَازِيّ، وبرع وتصدى فِي بَلَده للتدريس والإفتاء وَولي قضاءها، مَاتَ سنة 897هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ج1، ص117.

[3] هو: عبد الله بن محمد بن عبد الله العفيف، أبو محمد بن الجمال الطيب بن الشهاب، الناشري، اليماني، الشافعي، أخذ عن قريبه عثمان، وجماعة ثمّ لازم والده فقرأ عليه تصانيف عدة، توفي سنة 882هـ. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، ج5، ص45.

[4] لم أعثر له على ترجمة.

[5] هو: أَحمد بن الطّيب بن شمس الدّين الطبنداوي، الْبكْرِيّ، الشَّافِعِي، شهَاب الدّين، تفقه بالنور السمهوري، والكمال الرداد، وغيرهم، وأخذ عنه خلق كثير، منهم ابن زياد، والغريب الأكسع، له شرح التنبيه، وحاشية على العباب، توفي سنة 948هـ. ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العَيْدَرُوس، ص206.

3-محمد بن عمر بحرق[1]. (العَيدَروس، صفحة 129)

رابعا-آثاره العلميّة:

من مصنّفاته المشهورة، أذكر:

1-العباب والمحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب.

2-تجريد الزوائد وتقريب الفرائد.

3-تحفة الطلاب في مسائل الإرشاد.

وكان ينظم في اليوم الواحد نحو ثمانين بيتا مع القيود والاحترازات، وله مرثية عظيمة في شيخه عمر الفتى. (العَيدَروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، صفحة 129)، و(الشقيري، صفحة 158)

3،2. وفاته وثناء العلماء عليه

أولا-وفاته: توفّي الشيخ سنة: 930هـ. (الباباني، 1951م، صفحة 140)

ثانيا-ثناء العلماء عليه:

1-قال الشيخ عبد القادر الفاكهي المكي مادحا المصنِّف ومصنَّفه العباب:

إلاّ أنّ المزجّد بحر علم...خضمّ والجواهر في عبابه (الغزي، 1418هـ، 1997م، صفحة 114)

2-نقل صاحب النور السافر بعض ما حُكي عن الشيخ، فقال: "...وكان على جانب عظيم من الدين، حتى قال بعضهم في عصره لو جاز أن يبعث الله نبيّا في عصرنا لكان أحمد المزجّد هو ذلك النبيّ". (العَيْدَرُوس، النور السافر ، صفحة 130)

3-ومدح كثرة علمه أبو بكر بن عبد اللّه العَيْدَروس، فقال فيه:

وفي العلم يم لم يزل متلاطما...يجل عن الإحصاء والعد والحصر (العَيْدَرُوس، النور السافر ، صفحة 132) .

[1] هو: جمال الدّين، مُحَمَّد بن عمر بن مبارك بن عَليّ، الحِمْيَرِي، الْحَضْرَمِيّ، الشَّافِعِي الشهير بَحرَق، أخذ عَن جمَاعَة منهم أَبُو وعبد الله بن أَحْمد محرم، من تصانيفه مختصر التَّرْغِيب والترهيب لِلْمُنْذِرِيِّ، وَكتاب عقد الدُّرَر فِي الْإِيمَان بِالْقضَاءِ وَالْقدر، توفي سنة 930هـ. ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العَيْدَرُوس، ص133.

3. دراسة المنظومة

أقف في هذا المطلب على أهم الخطوات التي تتّبع في تحقيق المخطوط، وأهمها التسمية والنسبة، ثم موضوعها وعدد أبياتها، ويليه وصف المخطوط، والسبب الداعي إلى تحقيقها، إلى غير ذلك.

3،1. التسمية والنسبة

أوّلا–التّسمية:

لم أجد – حسب البحث – من ذكر ولا أشار إلى هذه المنظومة، حتّى المصادر التي ترجمت لصاحب المنظومة. والنّاسخ أيضا لم يذكر التّسمية.

ثانيا–النّسبة

تتأكّد نسبة المنظومة إلى مؤلّفها من خلال القرائن الآتية:

1–ذكر النّاسخ قبل بداية القصيدة النّسبة، فقال: "هذه القصيدة للقاضي العلاّمة شهاب الدّين أحمد بن عمر المزجّد مصنّف العباب رحمه اللّه رحمة الأبرار"[1].

2–أنّ النّاظم كان مشهورا بكثرة شعره، حتّى أنّه كان ينظم في اليوم الواحد نحو ثمانين بيتا مع القيود والاحترازات، كم ذكرنا سابق[2].

3–الناظم كان يُكثر من قول الشّعر المتعلّق بالآداب والأخلاق، والنصح والإرشاد، كما ذكرت ذلك كتب التّراجم، وهذه أمثلة ممّا قال:

لا تصحب المرء إلا في استكانته...تلقاه سهلا أديبا لين العود (العماد، 1406هـ، 1986م، صفحة 236)

ومنها قوله كذلك:

فلازم كسر بيتك فهو ادعى...لبعدك عن قبيح الاعتياد (العَيْدَرُوس، النور السافر ، صفحة 130)

4–أنّ النّاظم نظم مسائل الإرشاد[3] في (5840) بيت كما ذكر بعض من ترجم له، وسُمّيت منظومة الإرشاد، وهذا دليل كذلك على مكنته في باب الشعر والنظم. (العَيْدَرُوس، النور السافر ، صفحة 129)، و (العماد، 1406هـ، 1986م، صفحة 236).

[1] ينظر: الورقة: 12من المجموع

[2] ينظر: الصفحة السابقة من البحث.

[3] إرشاد الغاوي إلى مساك الحاوي، لإسماعيل بن أبي بكر الشرجي، الشهير بابن المقري الزبيدي، (837هـ).

3،2. موضوع المنظومة وعدد أبياتها:

أولا–موضوع المنظومة يدور حول النصح والإرشاد إلى مكارم الأخلاق والآدب، مع اللّه عزّ وجلّ ومع خلقه؛ فتكلّم النّاظم في الأبيات الأولى عن مدى افتقار العبد إلى ربّه، وأنّ عليه اللّجوء إليه في أموره كلّها، ولا يطلب غيره ممّن لا يملك له الضرّ ولا النّفع، ثمّ انتقل إلى الكلام عن القدر، وأنّ على العبد الرّضا بالقدر خيره وشرّه، ولا يقل (لو، وعسى)؛ لأنّ كلّ شيء مكتوب عند اللّه في اللّوح المحفوظ.

ثمّ انتقل في الأبيات الموالية إلى إيراد خصال ذاتيّة متنوّعة على المرْء أن يأخذها ويتحصّن بها؛ فابتدأها بالقناعة، ثمّ ثنّاها وثلّثها بصيانة الدّين والعرض، ثمّ التواضع وعدم الطغيان؛ لأنّ الأيام دُوَل.

وبعدها جاءت الأبيات الأخرى، والتي ذكر فيها النّاظم بعض الأخلاق الحميدة والآداب التي تربط العبد بغيره؛ فبدأ بخُلق الابتسامة في وجه النّاس، ثمّ الصّدق في القول معهم، وبعده خلُق الحياء، ثمّ أكّد على الصّدق، وقول الحقّ بالرغم من وعورة طريقه وشدّته على النّفس، وختم الأبيات بذكر ثلاثة أنواع من المعاملات التي تضمن دوام العشرة الطيّبة مع الغير؛ وهي مدح محاسنهم، والصّفح عن مساوئهم، وقبول أعذارهم.

ثمّ ألحق المعاملات بصفات أخرى متمّمة لها؛ وهي الرّفق بمن رافق العبد كالوالدين، أو الأهل والأبناء، أو الأصدقاء، ثمّ حفظ الأصحاب في غيبتهم وحضرتهم، وكذلك على العبد أن يعامل أصحابه بما يظهر له منهم، وأن يوكل بواطنهم للّه تعالى، وبعدها ذكر الصبر على ما يواجه العبد من الأحداث والأهوال في دنياه، ورجع مرّة أخرى مذكّرا بخلُق من الأخلاق المهمّة والمساهِمة في الحفاظ على الأخوة، وهو خلُق العفو والصفح عن الإخوان وغيرهم، ولم يقف عند ذلك فقط، بل تعدّى إلى ما أكثر من ذلك، وهو الصبر على أذاهم، ومقابلته بالدعاء.

ونرى بعد ذكره لبعضٍ من الخصال الحميدة، تنبيهه على خطورة اتّباع العبد لهواه وما يمْليه عليه، ثمّ الترغيب في القناعة والتّقوى وخاصّة عند اجتماعهما في العبد فيعتبر ذلك فوزا له، وبعد ذلك رغّب العبد في طلب العلم، والاحتكام إليه في حياته كلّها، لأنّ ذلك يقلّل من نسبة الضّرر، ثمّ التنبيه كذلك على خلُق من الأخلاق السيّئة، وهو الاغترار بمدح النّاس، وختم الكلام عن الخصال حسنها وسيّئها بما هو أعمّ والتزامه يفي بكلّ ذلك، وهو التّمسّك بالشريعة السمحاء التي تحثّ على كلّ خير، وتنبه على كلّ شرّ.

ثمّ قرن النّاظم ذكر الآداب والأخلاق، بذكر الموت والتنبيه عن الغفلة عنه، وعلى العبد أن يقدّم ما يسرّه أن يلقاه بين يدي ربّه يوم القيامة قبل أن يباغته الأجل.

وبعد تذكيره بالموت أبدى تحسّرا شديدا على ما فات من عمره في ما لا يفيد، ثمّ أشار إلى فترة الشباب الذي مضت بسرعة، ولم يشعر بها إلاّ بعد ظهور علامات الكبر، وخوفه من يوم الوقوف بين يدي ربّه، لقلّة أعماله وطاعاته وتقصيره في جنب اللّه عز وجل، لكن فتح باب الأمل والطّمع في رحمة اللّه، بالإشارة إلى أصول منجية، وهي توحيد اللّه تعالى، والإيمان بنبيّه ﷺ، وبيوم البعث والنّشور، ثمّ أردفها بما قدّم للبشريّة من علم ينتفع به.

وأخيرا ختم القصيدة بالصلاة على خير البريّة، وعلى آل بيته، وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدّين.

ثانيا–القصيدة اشتملت على اثنين وأربعين بيتا من البحر البسيط[1].

3،3. **وصف المخطوطة وعملي في التحقيق**:

اعتمدت في تحقيق النّظم على نسخة وحيدة للمخطوطة، على الرغم مما بذلته من جهد في سبيل الحصول على نسخة أخرى للكتاب، فقد اطلعت على معظم فهارس المخطوطات، ولكن لم أوفّق في العثور على نسخة أخرى للمخطوطة.

أوّلا–عنوان القصيدة: لم يُثبت النّاسخ عنوان القصيدة، لكن الملاحَظ أنّ هذه القصيدة جاءت رائيّة، وموضوعها كما رأينا آنفا في الآداب والنّصح والإرشاد، وهي لابن المزجّد كما أثبت ذلك النّاسخ، فيمكن من خلال هذه الإشارات تسميتها: "**رائيّة ابن المزجّد في النّصح والإرشاد**".

ثانيا–النسخة الوحيدة للمخطوطة، هي نسخة خطّية ضمن مجموع يحتوي على كتابين بمكتبة (جامعة الملك سعود) تحت رقم: (3317).

ثالثا–عدد الأوراق والأسطر: إنّ النسخة الوحيدة للمخطوطة تقع ثاني الكتب الموجودة ضمن المجموع المشار إليه سابقاً، والكتاب الأوّل هو (منهاج العارفين في سلك المريدين) للمقري نور الدين أبي الحسن بن يوسف الشافعي.

رابعا–تتكون نسخة المنظومة من (ورقتين)، تبدأ من الورقة رقم (12) وتنتهي بالورقة رقم (13) من المجموع. وتحتوي كل صفحة من النسخة على ما بين (17 إلى 19) سطراً، ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد ما بين (8 إلى 10) كلمات تقريبا.

خامسا–مقياس أوراق المخطوط: 21.5*15سم[2].

سادسا–وصف الصفحة الأولى والأخيرة من المجموع:

---

[1]وزن البحر البسيط: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ...مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ.

[2]ينظر: الصفحة التعريفية بالمجموع، ص2.

1-جاء في الصّفحة الثالثة من المجموع: "فائدة في معرفة الظّل عند المتأخرين"، ثم الصّفحة التي تليها: نازلة من النوازل الفقهية القضائيّة للعلاّمة أحمد بن محمد بن الهمام، وبعدها كتاب: منهاج العارفين في سلك المريدين، للمقري نور الدين أبي الحسن بن يوسف، هكذا كما أثبته النّاسخ.

2-كُتب في أعلى الصفحة الأولى من النّظم، الآتي:

(بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، الحمد لله ربّ العالمين، وبه نستعين، ربّ يسّر وأعن وارحم وتقبّل يا كريم.

هذه القصيدة للقاضي العلاّمة، شهاب الدّين، أحمد بن عمر المزجد، مصنّف العُباب رحمه اللّه رحمة الأبرار).

2-أمّا الصفحة الأخيرة فقد كتب في نهايتها: (تمّت وبالخير عمّت). ثمّ أورد النّاسخ بعدها مختارات من أبيات شعريّة من غير نسبة، ووضعها تحت عنوان: (أبيات عظيمة).

سابعا-اسم الناسخ وتاريخ النسخ:

لقد كُتب في الصفحة التعريفية بالمجموع، بأنّ النسخة بخط نسخ بها آثار رطوبة وبقع، واسم الناسخ هو: (زيد بن محمّد اليوسفي)، وأكّدوا ذلك في المخطوط الأول من المجموع، أمّا عن القصيدة، فقالوا: "لعلّها بخطّ زيد بن محمّد اليوسفي"[1].

ثامنا-دعتني لتحقيقها عدّة دوافع، منها:

1-شهرة مؤلّفها، وخاصّة عند الشافعيّة؛ لأنّه صاحب كتاب العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب، وهو من أشهر المصادر عندهم، وقد بلغ مرتبة مرموقة بين كتب المذهب الشافعي، ونظرا لهذه المنزلة فقد اعتنى بشرحه جملة من أعلام المذهب، كابن حجر الهيتمي[2]، وغيره.

2-صاحب النظم عُرف بتأليفه في مجال الفقه عبر كتابه العباب، وله نظم كذلك في الفقه تحفة الطلاب في مسائل الإرشاد، فجميل أن تُبرز له أعمال في غير مجال الفقه.

3-وضوح خط النّظم، وهو بخط نسخ كما أشرنا سابقا، ممّا سهّل لي كتابتها من غير أي إشكال.

تاسعا- يتلخص عملي في تحقيق النّظم في الأمور الآتية:

1-القيام بكتابة النص من النسخة الوحيدة والتي تتميز بوضوح الخط والسلامة من الأخطاء.

2-قمت بشرح بعض المفردات والمصطلحات التي دعت الحاجة إليها.

3-قمت بتشكيل النّظم من أوّله إلى آخره، معتمدًا في ذلك على ما ورد في النسخة الوحيدة.

---

[1] وهي الصفحة الثانية من المجموع، وهي من وضع المشرفين على مكتبة الجامعة.

[2] هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، السعدي، الأنصاري، من أهم شيوخه شمس الدين بن أبي الخمائل، وشمس الدين الشناوي، ومن مؤلفاته شرح المنهاج للإمام النووي، والأحكام في قواطع الإسلام، توفي سنة 974هـ. ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العَيْدَرُوس، ص258.

4-ترجمت للمؤلف ترجمة مختصرة، فذكرت حياته الشخصية والعلميّة.

5-عقدت دراسة للمخطوطة، حيث بدأت بمقدمات أساسية، بدأتها بترجمة الناظم، ثم بيان موضوعها وعدد أبياتها، ثم وصفت النسخة، وبيّنت الدافع الذي دفعني للإقدام على تحقيقها، وأخيرا بينت العمل الذي قمت به من أجل تحقيق هذه المخطوطة.

4. تحقيق النص

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، الحمد لله ربّ العالمين، وبه نستعين، ربّ يسّر وأعن وارحم وتقبّل يا كريم.

هذه القصيدة للقاضي العلاّمة، شهاب الدين، أحمد بن عمر المزجد، مصنف العباب رحمه اللّه رحمة الأبرار.

كُلٌّ سِوَى اللَهِ مُحْتَاجٌ وَمُفْتَقِـــرٌ...إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَمَا يَـــذَرُ
فَاطْلُبْ مَآرِبَكَ[1] اللَّاتِي تُحَاوِلُهَـــا...فَفَضْلُهُ الْجَمُّ لَا عَيٌّ[2] وَلَا حَصَـــرُ[3]
وَسَلِّمِ الْأَمْرَ وَالْزَمْ بَابَهُ أَبَـــــدًا...فَالْمَنْهَلُ الْعَذْبُ مِنْهُ الْوِرْدُ[4] وَالصَّـدَرُ[5]
وَخَلِّ لَوْ وَعَسَى وَاقْطَعْ حِبَالَهُمَـــا...فَالْقَبْضُ وَالْبَسْطُ ثُمَّ النَّفْعُ وَالضَّـرَرُ
خَطَّتْ بِهِ أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ فِـــي أَزَلٍ...مَا ثَمَّ إِلَّا الذِي يَجْرِي بِهِ الْقَـــــدَرُ
كُنْ قَانِعًا بِقَلِيلٍ أَنْتَ نَائِلُـــــــهُ...فَعَنْ قَرِيبٍ يَزُولُ الصَّفْوُ وَالْكَـــدَرُ
وَكُنْ لِدِينِكَ صَوَّانًا تُصَانُ بِـــــهِ...فَهَضْمُ دِينِكَ كَسْرٌ لَيْسَ يَنْجَبِـــــرُ
وَكُنْ ضَنِينًا[6] بِعِرْضٍ أَنْتَ لَابِسُـــهُ...فَالدِّينُ وَالْعِرْضُ لِلْإِنْسَانِ مُفْتَخَـــرُ

---

[1]الإِرْبَةُ والإِرْبُ: الحاجةُ. والمَأْرُبة والمَأْرَبةُ مِثْلُهُ، وَجَمْعُهُمَا مآرِبُ. مآربك يعني حوائجك. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ، حرف الباء، مادة أرب، ج1، ص208.

[2]العيّ: هُوَ بِالْفَتْح الْعَجز والتعب وَعدم الإطاقة. ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج1، ص79.

[3]الحَصَرُ: البُخْلُ، وَقد حَصِرَ، إِذَا بَخِلَ، وكُلُّ من امْتَنَع من شَيْءٍ لم يَقْدِر عَلَيْهِ فقد حَصِرَ عَنهُ. ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة حصر، ج11، ص27. والمعنى: أنّ الله عز وجل نعمه وأفضاله على العبد كثيرة ودائمة لا يوقفها لا تعب ولا بخل منه سبحانه وتعالى.

[4]الْوِرْدُ: خِلَافُ الصَّدَرِ. وَيُقَالُ: وَرَدَتِ الْإِبِلُ الْمَاءَ تَرِدُهُ وِرْدًا. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ، 1979م، باب الواو والراء وما يثلثهما، مادة ورد، ج6، ص105.

[5]صَدَرَ عَنِ الْمَاءِ، وَصَدَرَ عَنِ الْبِلَادِ، إِذَا كَانَ وَرَدَهَا ثُمَّ شَخَصَ عَنْهَا. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، باب الصاد والدال وما يثلثهما، مادة صدر، ج3، ص337.

[6]الضَّنَّة والضِّنُّ والمَضَنَّة والمَضِنَّة، كُلُّ ذَلِكَ. مِنَ الإمساك والبُخْل، وَرَجُلٌ ضَنينٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف النون، مادة ضنن، ج13، ص261.

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَيَّامِ مُحْتَسِبًـــا...فَفِي تَصَارِيفِهَا لِلْمَرْءِ مُعْتَبَـــــــرُ
وَلَا يَغُرَّنْكَ ذُو حَظٍّ يَطُولُ بِـــــهِ...فَإِنَّهُ فِي مَهَاوٍ خَطْبُهَا عَسِـــــــرُ
وَالْقَ الْأَنَامَ بِوَجْهٍ فِي أَسِرَّتِـــــهِ...لَوَائِحُ الْبِشْرِ عِلْمًا أَنَّهُمْ بَشَـــــــرُ
وَاسْتَعْمِلِ الصِّدْقَ فِي الْأَحْوَالِ أَجْمَعِهَا...فَهُوَ الصَّدِيقُ إِذَا حَقَّقْتَ وَالْوَزَرُ[1]
وَالْبَسْ مِنَ الدِّينِ جِلْبَابًا تَصُونُ بِهِ...حَيَاءَ وَجْهِكَ حَتَّى يَنْفَدَ الْعُمُـــــرُ
وَلَازِمِ الصِّدْقَ عَمَّا لَا يَفُوتُ بِهِ...عَلَيْكَ نَفْعٌ وَلَا فِي تَرْكِهِ ضَـــــــرَرُ
وَكُنْ مَعَ الْخَلْقِ مَا كَانُوا لِخَالِقِهِمْ...فَمَسْلَكُ الْحَقِّ صِدْقًا مَسْلَكٌ وَعِـــرُ
وَامْدَحْ مَحَاسِنَهُمْ وَاصْفَحْ مَسَاوِئَهُمْ...وَاقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ يَعْتَـــذِرُ
وَكُنْ رَفِيقًا بِمَنْ رَافَقْتَهُ أَبَـــدًا...وَاحْفَظْ صِحَابَكَ إِنْ غَابُوا وَإِنْ حَضَـرُوا
وَاقْبَلْ ظَوَاهِرَهُمْ وَاجْعَلْ بَوَاطِنَهُمْ...إِلَى الْمُهَيْمِنِ إِنْ بَرُّوا وإِنْ فَجَـــرُوا
وَكُنْ عَلَى غُصَصِ الْأَهْوَالِ مُصْطَبِرًا...فَلِلَّبِيبِ عَلَى الْأَهْوَالِ مُصْطَبَرُ
وَارْعَ الْإِخَاءَ لِمَنْ يَرْعَاهُ وابْنِ لَهُ...سِرًّا صَفَاهُ الصَّفَى وَالْحِجْرُ والْحَجَرُ[2]
وَاصْفَحْ لَهُ عَنْ هُنَيْهَاتٍ قَدْ يُقَارِفُهَا...إِنَّ الهُنَيْهَاتِ مِنَ الإِخْوَانِ تُغْتَفَرُ
وَإِنْ رَمَاكَ بِسَهْمٍ مِنْ عَدَاوَتِـــهِ...وَغِرَّةٍ[3] مِنْ تَوَانِي حَظِّهِ الْأَشِـــــــرُ
فَانْصُبْ لَهُ جُنَّةً فِي وَجْهِ صَوْلَتِهِ...مِنَ الدُّعَاءِ إِذَا مَا أَقْبَلَ السَّحَـــرُ
فَالْبَغْيُ مَصْرَعَةٌ والصَّبْرُ مَحْمَدَةٌ...وَكُلُّ رَامٍ بَغَى فِي بَاعِهِ قِصَـــــرُ
إِنَّ الْهَوَى لَهَوَانٌ فِي عَوَاقِبِـــهِ...وَغَرْسُهُ مَالَهُ غُصْنٌ وَلَا ثَمَـــــرُ
إِنَّ الْقَنَاعَةَ وَالتَّقْوَى إِذَا اجْتَمَعَا...لِذِي حِجًى مَرَّةً فَلْيَهْنِهِ الظَّفَـــــرُ
مَنْ يَجْعَلِ الْعِلْمَ قَيْدًا فِي قَوَائِمِهِ...قَلَّتْ خُطَاهُ لِمَا أَخْذِهِ ضَـــــرَرُ

---

[1] الوَزَرُ: المَلْجَأُ، وأَصل الوَزَرِ الْجَبَلُ الْمَنِيعُ، وكلُّ مَعْقِلٍ وَزَرٌ. وَكُلُّ مَا الْتَجَأْتَ إِليه وَتَحَصَّنْتَ بِهِ، فَهُوَ وَزَرٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، مادة وزر، ج5، ص282.

[2] الحِجْرُ: حَجْرُ الإِنسان وحِجْرُه، بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: حِضْنُه. وأَنت في حِجْرَتِي [حَجْرَتِي] أَي مَنَعَتِي. قَالَ الأَزهري: يُقَالُ هُمْ فِي حِجْرِ [حَجْرِ] فلانٍ أَي فِي كَنَفِه ومَنَعَتِه ومَنْعِهِ. والحَجَرُ: يبدو أَنّ صاحب النّظم حرّك الجيم بالفتح للضرورة الشعريّة، وإلاّ فأصلها–والله أعلم– (الحَجْرُ) بسكون الجيم: وهو مَصْدَرُ حَجَر عَلَيْهِ الْقَاضِي يَحْجُر حَجْراً إذا مَنَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ، فيكون معنى البيت: واحفظ مودة الإخاء والصداقة لمن يحفظها، بأن تبني لها سورا حجارته الصفو والإخلاص، والرعاية والكنف، والمنعة من أي شيء يهدمه، والله أعلم. ينظر شرح الألفاظ: ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، مادة حجر، ج4، ص167.

[3] الغِرّة: الغفلة، يُقَالُ اغْتَرَرْتُه واسْتَغْرَرْتُه أَي أَتيته عَلَى غِرّة أَي عَلَى غَفْلَةٍ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، مادة غرر، ج5، ص17. والبيت هنا الظاهر أنه شرط لجواب بعده، أي فمعناه باختصار: احفظ الإخاء لم يحفظه لك، ولو بدر منه شيء من العداوة على غفلة منك لغروره وبطره، فانصب له...البيت الذي بعده.

مَنْ يَغْتَرِرْ بِثَنَاءِ النَّاسِ مُطَّرِحًا...لِجَانِبِ الدِّينِ قَدْ أَوْدَى بِهِ الْغَـــرَرُ
مَنْ يَبْتَغِي الشَّرْعَ يُحْمَدْ فِي مَعَزَّتِهِ...وَمَنْ عَدَاهُ أَتَاهُ الشَّرُّ وَالشَّـــرَرُ
يَا غَافِلًا وَالْمَنَايَا غَيْرُ غَافِلَـــــةٍ...وَنَائِمًا وَالرَّزَايَا دَأْبُهَا السَّهَـــــرُ
قَدِّمْ لِنَفْسِكَ أَعْمَالًا تَنَالُ بِهَـــــا...رِضَى الْمُهَيْمِنِ فِي مَا أَنْتَ تَنْتَظِرُ
وَالْهَفْ نَفْسِي عَلَى مَا فَاتَ مِنْ عُمُرِي...سَبَهْلَلًا[1] وَسِهَامُ الْمَوْتِ تَبْتَدِرُ
مَضَى الشَّبَابُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِمُدَّتِهِ...حَتَّى إِذَا مَا عَلَانِي الشَّيْبُ وَالْكِبَـرُ
عَرَفْتُ غَايَةَ تَقْصِيرِي فَوَا خَجَلِي...مِنْ مَوْقِفٍ شَاهِدَاهُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ
مَالِي هُنَالِكَ أَعْمَالٌ أُقَرِّبُهَـــــا...مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ لِلْأُجَرَاءِ تُدَّخَـــرُ
إِلاَّ شَهَادَةُ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُنَـــــا...هُوَ الْإِلَهُ وَبَاقِي خَلْقِهِ صُـــــوَرُ[2]
وَأَنَّ أَحْمَدَ خَيْرُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ...هُوَ الرَّسُولُ نَبِيءٌ أَصْلُهُ مُضَـــرُ
وَأَنَّ بَعْثَ الْوَرَى حَقٌّ وَمَوْقِفَهُمْ...وَكُلُّهُمْ لِثَوَابِ اللَّهِ مُفْتَـــقِـــــرُ
وَأَنَّ لِي خِدْمَةً لِلْعِلْمِ تَعْلَمُهَـــا...مِنِّي تَوَالَتْ بِهَا الْآصَالُ وَالْبُكَـــرُ
يَا رَبِّ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَـــدًا...عَلَى النَّبِيءِ صَلاَةً لَيْسَ تَنْحَصِـرُ
وَالْآلِ والصَّحْبِ وَالْأَزْوَاجِ أَجْمَعِهِمْ...وَتَابِعِيهِمْ فَنِعْمَ السَّادَةُ الْغُـــرَرُ

تمّت وبالخير عمّت

4.خاتمة

في ختام هذا البحث الذي ضمّ دررا من الأخلاق والآداب التي تنظّم علاقات المسلم كلّها، بدءا من علاقته بالله، وانتهاء بعلاقته بغيره من الناس من حوله، أودّ أن أضع بين يدي القارئ الكريم أهم النتائج، وهي:

القصيدة التي بين أيدينا مهمة في بابها؛ لاحتوائها على جملة من الأخلاق والآداب التي يحتاجها المسلم في علاقته مع الخالق، وفي مجتمعه.

---

[1] سبهللا: جَاءَ سَبَهْلَلًا أَي بِلَا شَيْءٍ، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ أَنه قَالَ: "إِني لأَكره أَن أَرى أَحَدَكم سَبَهْلَلًا لَا فِي عَمَل دُنْيا وَلَا فِي عَمَل أَخَّرَهُ"؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: ...كأَنه قَالَ لَا فِي عَمَلٍ مِنْ أَعمال الدُّنْيَا وَلَا فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف اللام، مادة سبهل، ج11، ص324.

[2] صُوَرُ: فِي أَسماء اللَّهِ تَعَالَى: المُصَوِّرُ وَهُوَ الَّذِي صَوَّر جميعَ الْمَوْجُودَاتِ وَرَتَّبَهَا فأَعطى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهَا صُورَةً خَاصَّةً وَهَيْئَةً مُفْرَدَةً يَتَمَيَّزُ بِهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا. والجَمْعُ صُوَرٌ وصِوَرٌ وصُوْرٌ، وَقَدْ صَوَّرَهُ فَتَصَوَّرَ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، حرف الراء، مادة صور، ج4، ص473.

1- القصيدة منسوبة إلى ابن المزجَّد، أحد أعمدة الفقه الشافعي، وهي من آثاره التي لم يسبق تحقيقها، وخاصة أنها خارج مجال الفقه الذي عُرف به.

2- موضوع المنظومة يدور حول النصح والإرشاد إلى مكارم الأخلاق والآداب، مع اللّه عزّ وجلّ ومع خلقه، وقد قسّمها النّاظم إلى عشرة أقسام متنوّعة.

وأمّا أهم التوصيات:

1- أوصي الباحثين المهتمين بتحقيق التراث العمل على تحقيق منظومة الإرشاد لابن المزجّد حتى يتمّ تحقيق آثاره العلميّة كلّها.

2- هذه القصيدة وأمثالها يحسن تلقينها للطلاب، فهي تساهم في تثبيت أهم معالم الأخلاق والآداب مع الله ومع مَن حولهم.

وأخيرا أتمنّى أنّي قد وُفّقت في هذا العمل، واللهَ أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلّم على نبيّه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

5. قائمة المراجع

1- 6- العقيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني، عبد الله بن علي النعمان الشقيري، (مخطوط).

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ، 1979م.

3- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ.

4- أحمد مختار بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

5- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

6- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ت: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط: 1، 1406هـ، 1986م.

7- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

8- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ت: كتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 8، 1426هـ، 2005م.

9- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، أبو محمد الطيب الهِجراني، عُني به: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1428هـ، 2008م.

10- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين الغزي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1418هـ، 1997م.

11- كواكب يمنية في سماء الإسلام، عبد الرحمن بعكر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ، 1990م.

12- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت،

13- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، العَيْدَرُوس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1405هـ.

14- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل الباباني، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، ط: 1951م.

□

6. ملاحق

الصفحة الأولى والثانية من المخطوط